

رسالة إلى عبد المأمور

بقلم د. هاني السباعي

hanisibu@hotmail.com

مدير مركز المقريري للدراسات التاريخية

يحار المرء عندما يشاهد أشاوس الأمن وهم يضربون المتظاهرين بوحشية!! هل هم بحق من أبناء جلدتنا هل لهم أحاسيس ومشاعر مثلنا هل يحملون هموم هذه الأمة!! وعن أية قضية يدافعون!! فإذا كان المتظاهرون من طلاب ورجال فكر وثقافة وكافة طوائف الشعب يتظاهرون من أجل قضية نبيلة وهي قضية فلسطين!! فأية قضية تلك التي تحرك هؤلاء الجنود الذين يقمعون هذه التظاهرات!! هل دفاعاً عن قضية مقدسة!! لا وألف لا!! هل دفاعاً عن حاكم ظلوم غشوم؟! نعم وألف نعم!! وإذا سألت جندياً من هؤلاء المدججين بالأسلحة والهاويات المستوردة: لم تضرب إخوانك وأهلك من المتظاهرين العزل الذين يدافعون عن شرف أمتنا وينادون بإعادة الروح في نظام كسيح!! قال: أنا عبد المأمور!! وإذا سألت ذلك الضابط الذي يستعرض بمدفعه الذي كاد أن يصدأ لم تقذف هذه الجماهير بهذه الحمم والقنابل المسيلة للدموع؟! أليسوا إخوانك وأهلك وعشيرتك؟! قال: أنا عبد المأمور!! قلنا إذن المشكلة عند ذلك المأمور لا بد أن نرتقي إليه ونترك هؤلاء العبيد.. حسناً.. إذن الحل عند وزير الداخلية: بعد أن اخترقنا غابة من الجنود.. وأحراشاً من الجواسيس والعيون التي لا يخفى عليها ديب النمل!! قلنا له: لم تأمر: جلاوزتك من شماريخ الأمن بقمع التظاهرات ألسنت من هذا البلد ألسنت من هذه الأمة أما لك إحساس أما لك اعتقاد!! هل تتألم مثلما يتألمون؟! لم يشأ إلا أن ينطق بكلمة واحدة: أنا عبد المأمور!!

قلنا حسناً!! نذهب إلى حامي الديار والذمار وزير الدفاع عن كرامة الأمة!! فبعد جهد جهيد.. وبعد تربص وترصد وكمائن هنا وهناك.. وصلنا إلى أول بوسطة على خط القتال: مكتب سيادة المشير جداً!! ألسنت صاحب الجيوش ووزير أمن البلد القوي: لم لا تأمر كتيبة من كتائبك تحرس هذه التظاهرات من بطش الذي هو أدنى!! هل تشعر مثلما نشعر هل تتألم مثلما تتألم!! هل رأيت الزهور في فلسطين كيف تنفجر

في قلب العدو الظلوم.. هلا انتهت جيوشكم من تربية الكتاكيت!! ورعي المواشي وتصدير الفراولة!! أما آن لكم أن ترسلوا كتبية أو سرية أو حتى فصيلة لكسر الحدود!! لم يشأ صاحبنا إلا أن قال: أنا عبد المأمور!!

قلنا: حسناً!! لم يبق أمامنا إلا الرأس الكبير!! بعد كل المحاولات الفاشلة استطعنا أخيراً أن نتسلق الرياح سوراً إثر سور لنعلم المخبوء والمستور: قلنا له: ألسنت كبير العائلة؟! أليس هؤلاء المساكين من رعاياك!! ألسنت مسؤولاً عنهم؟! لم تأمر رجال أمنك وصناديد دولتك بضرب المتظاهرين بالهراوات ورش الماء والقنابل المسيلة للدموع على المتظاهرين؟! لصالح من تأمر زبانيتك بقمع التظاهرات والضرب في سويداء القلب أحياناً؟! لصالح من يا كبير العائلة؟! أما سمعت ببراغم الزيتون في أرض فلسطين وهي تحي موات القلوب؟! أما سمعت برائحة البارود تفوح من زهر الياسمين وشجر البرتقال!! هل تتألم مثلهم!! هل تكحل عينك بالنوم وأنت ترى قوافل الشهداء تخرج من فم التنين!! كنا نظن أنك ستكون وحاشيتك في طليعة التظاهرات؟! لم تفعل.. وليتك سكت بل أمرت زبانيتك بالقمع والتعذيب!! وبعد محاورة طويلة اكتشفنا أن الرجل لديه مناعة ضد ما نقول!! لكنه أجاب بكل برود: أنا عبد المأمور!! أصابنا ذهول!! كبير القوم يقول أنا عبد المأمور!! لكن سرعان ما استفقنا.. واضطررنا إلى تجاوز المفاوز والفيافي حتى عبرنا الأطلسي: حيث يقع الشر في صورة بشر يداعب كلابه غير عابئ بنا.. فسألناه عن بعد لأننا على يقين أنه مؤذ بحق: يا كبير البيت! ويا تمثال الغطرسة! لم تأمر عمالك في بلادنا بضرب المتظاهرين وقمع الأحرار؟! لم تأمر موظفيك في بلادنا بقمع التظاهرات بوسائل التعذيب التي تصدرونها إلى بلادنا.. ألسنت بشراً مثلنا.. ألسنت كذا.. ألسنت كذا.. فزمر وأرغد وأزبد فهدد وتوعد.. فاختفينا من طيف خياله: فعلمنا أخيراً من الأمر ومن المأمور!!

لكن الذي يجب أن يعلمه هذا المأمور قبل الأمر: أن أمرهم سواء وحكمهم سواء: فلا عذر لهم يوم أن يتمخض الزلزال (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين).. أما العقوبة في الدنيا فهي كما كانت لكبيرهم وزعيمهم قديماً: (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم)..

أما هؤلاء العبيد!! وعبيد العبيد من رجال الأمن وجلاوزته ومن جيوش الخزي والعار أصحاب المدافع المتصدئة والنياشين والأنواط المزيفة: حذار حذار! لقد تمخض الزلزال: فلن ترحمكم الجماهير المزمجرة لأنكم لم ترحمونها!! وقديماً قيل: من لم

يرحم لا یرحم!!
